

# لماذا يحتاج الأكراد لأكثر من " مجرد استفتاء" لنيل استقلالهم عن العراق؟

كتبه جنكيز تشندار | 15 يونيو, 2017



ترجمة وتحرير نون بوست

إن مساعي إقامة دولة كردية مستقلة، التي شهدت انتعاشة في الآونة الأخيرة، تواجه العديد من العقبات التي ينبغي تجاوزها، على غرار تهديدها للبasher للاستقرار في منطقة الشرق الأوسط الذي لا يزال هشاً. فضلاً عن ذلك، تقف تركيا حجر عثرة أمام هذا الاستقلال منذ وقت طويل، فيما تبدي الولايات المتحدة إزاءه، كما تأتي هذه الجهود في فترة زمنية أقل ما يقال عنها أنها سيئة.

من جانبه، أعلن رئيس حكومة إقليم كردستان، مسعود بارزاني، عن أنه من المزمع عقد الاستفتاء المتعلق باستقلال كردستان عن العراق بتاريخ 25 أيلول / سبتمبر القادم. في الواقع، لطالما اعتبرت الدولة الكردية المستقلة هدفاً لعظم الأكراد المنتشرين أساساً في أربعة بلدان وهي تركيا، وإيران، والعراق، وسوريا، مما يجعلها أكبر دولة دون جنسية في العالم. ويرافق حلم إقامة كردستان مستقلة هدف آخر يتمثل في الحصول على الأراضي المتنازع عليها والممتدة من مدينة سنجار إلى غرب الموصل، وصعوداً نحو مدينة خناقين على الحدود الإيرانية، بالإضافة إلى محافظة كركوك الجنوبية الغنية بالنفط.

والجدير بالذكر أن قوات البيشمركة الكردية قد شاركت في عملية تحرير الموصل تحت إشراف الولايات المتحدة بالتعاون مع القوات العراقية ذات الهيمنة الشيعية. في المقابل، كان من المفترض أن يجني الأكراد ثمار مشاركتهم في تحرير الموصل من خلال موافقة كل من بغداد وواشنطن على قيام دولة

كردية مستقلة تحت حكم بارزاني، غير أن هذا الإنجاز يبدو بعيد المنال.

خلال شهر كانون الأول / ديسمبر الماضي، وقبل أيام معدودة من عيد الميلاد، عقد مسحور بارزاني، نجل الرئيس الأكبر ومستشار مجلس أمن إقليم كردستان، ندوة احتضنتها الجامعة الأمريكية في مدينة دهوك بكردستان واستمرت ليومين. وقد اشتمل الحضور على شخصيات عالمية أبرزها السفير الأمريكي السابق في بغداد، زلبي خليل زاد، وزعيم خارجية فرنسا السابق، برنار كوشنير، والدبلوماسي الأمريكي السابق، بيتر غالبريث.

وفي هذا الإطار، شهدت الندوة حضور أغلب المسؤولين الأكراد رفيعي المستوى، بمن فيهم ابن شقيق مسعود بارزاني ورئيس وزراء إقليم كردستان، نيجيرفان بارزاني. ومن هذا المنطلق، أجمع المشاركون على حق الأكراد في تقرير المصير، مما من المرجح أن يؤدي بدوره مطالبتهم بالاستقلال. خلافاً لذلك، لم يخلو الإجماع من فروق طفيفة، حيث أكد خليل زاد، على سبيل المثال، على ضرورة توخي الحذر فيما يتعلق بمسألة المطالبة بالاستقلال.

أما هوشيار زبياري، شقيق والدة بارزاني والمسؤول الكردي منذ وقت طويل في العاصمة العراقية، فقد لفت انتباه الحضور إلى أن بغداد لن تكون مستعدة في حال تمت المطالبة بالاستقلال كردستان. في الحقيقة، وباعتباره وزير الخارجية العراقي السابق، يتميز زبياري باطلاع واسع ودرامية بسير عمل النخبة السياسية العربية في بغداد (الشيعة والسنّة على حد سواء) أكثر من أي مسؤول كردي آخر.

كانت من بين المتحدثين في الندوة، واعترافاً بشرعية التطلعات الكردية من أجل إقامة دولة مستقلة، شددت على أنه طالما سيتحقق الاستقلال بطريقة سلمية وبنأيادٍ من بغداد، فعلى الأغلب أن تحذو الجارتان تركيا وإيران حذو العاصمة العراقية. علامة على ذلك، تعتبر حكومة إقليم كردستان الصديق الوحيد لتركيا في المنطقة، وهو ما يمثل تناقضاً مع الموقف التركي الذي لطالما اتسم بالعداء الشديد تجاه مبدأ استقلال الأكراد. من هذا المنطلق، يبدو من المحتمل أن رجب طيب أردوغان سيعترف بالاستقلال الكردي في العراق.

من جانب آخر، تحمل المسألة وجهاً جيوسياسياً أيضاً، إذ أن الصّدّ السيِّيِّدي للهيمنة الشيعية في العراق قد يخدم المصالح التركية. فبالإضافة إلى ذلك، يمكن لعداء مسعود بارزاني تجاه حزب العمال الكردستاني، خصم تركيا الكردي في تركيا وسوريا، أن يشكل عنصراً آخر لضمان قبول تركيا بمسألة إقامة دولة كردية مستقلة.

وعلى الرغم من منطقية الحجج الآنف ذكرها، إلا أن ردّة الفعل الأولى لوزارة الخارجية التركية بشأن استفتاء الاستقلال الكردي في أعقاب بيان بارزاني كانت معتدلة وحاسمة في الآن ذاته. وقد جاء في البيان الذي أصدرته الوزارة في التاسع من الشهر الجاري أنه "كنا قد أطلعنا الحكومة العراقية وحكومة إقليم كردستان، فضلاً عن أعضاء المجتمع الدولي البارزين، على المخاوف التركية إزاء استفتاء الاستقلال الذي تخطط حكومة إقليم كردستان لإجرائه".

وفي هذا الإطار، أضافت الوزارة أنه "شدّدنا على أن الإقدام على مثل هذه الخطوة لا يصب في

مصلحة حكومة إقليم كردستان أو العراق، في الوقت الذي تعيش فيه المنطقة تطورات حرجية، فضلاً عن أنها ستحمل في طياتها عواقب وخيمة قادرة على زعزعة الاستقرار أكثر من ذي قبل. في الواقع، يتعارض إجراء الاستفتاء مع النصائح والتحذيرات التي قدّمناها، ناهيك عن أنه يُعدّ بمثابة خطأ فادح.”.

وفي سياق متصل أقرت الوزارة بأن “الحفاظ على سلامة الأراضي العراقية ووحدتها السياسية يمثل إحدى مبادئ السياسة التركية الأساسية في العراق. لذلك، عوضاً عن تقويض وحدة الأراضي العراقية، لا بد أن تنضوي جميع العناصر المختلفة التي تشكل العراق تحت أسس المصالحة والحوار والشمولية.”.

وتتجدر الإشارة إلى أن الدولة الكردية المستقلة في العراق لن تكون مطلة على البحر، وبالتالي ستعتمد على تركيا أو إيران نظراً لأنفالها عن العراق، في الوقت الذي يعتبر فيه الكثيرون أن سوريا بلد مقسم بالفعل. كذلك من غير المرجح أن تدعم إيران خطط بارزاني ما من شأنه أن يضع دولة كردية مستقلة متاخمة لحدود مقاطعة كردستان التابعة لها (المعروف أيضاً باسم كردستان الشرقية). فضلاً عن ذلك، ستطلب حيوية واستمرارية دولة كردية مستقلة في العراق تأييداً غربياً خاصة من قبل الولايات المتحدة.

خلال مؤتمر صحفي مشترك جمع بارزاني بوزير الخارجية الألماني في 20 نيسان / أبريل الماضي، قال زيمبار غابرييل إن بلاده لا تؤيد الاستفتاء الكردي. أما تصريحات المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية، هيدر نويرت، خلال مؤتمر صحفي في الثامن من حزيران / يونيو الجاري، فقد عكست غموض الموقف الأمريكي بشأن استقلال كردستان العراق.

وعلى ضوء هذه المسألة، أشارت نويرت إلى أن “الولايات المتحدة تؤيد عرaca فدراليا، وموحداً، ومستقراً وديمقراطيًا. في الحقيقة، نحن نتفهم ونقدر التطلعات الشرعية لشعب كردستان العراق، كما أنها أعربنا عن مخاوفنا للسلطات في إقليم كردستان وأكدنا لهم أن إجراء الاستفتاء، حتى وإن لم يكن ملزماً، سيصرف الاهتمام عن الأولويات العاجلة.”.

في الواقع، “تمثل هذه الأولويات أساساً في هزيمة تنظيم الدولة، وارسال مقومات الاستقرار، وضمان عودة النازحين، وحسن إدارة الأزمة الاقتصادية، فضلاً عن حل النزاعات السياسية الداخلية في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، نشجع السلطات الإقليمية على مشاركة الحكومة العراقية في حل جل القضايا الهامة المتعلقة أساساً بمستقبل العلاقات بين بغداد وأربيل.”.

من جهتهم، قد يفسر الأكراد هذا الغموض على أن واشنطن لا تعارض نشأة دولة كردية مستقلة من حيث المبدأ. في المقابل، لا يشير البيان، في أي حل من الأحوال، إلى التزام أمريكي الذي يعتبر ضرورياً للأكراد من أجل المضي قدماً في تحقيق ما يطمحون إليه. عموماً، اختار بارزاني توقيتنا حساساً للحديث عن الاستفتاء، علماً بأنه قد أعلن عنه في السابع من حزيران / يونيو، أي عندما بدأت الأزمة الخليجية تطفو على السطح.

اما بالنسبة لأنقرة، تجمع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بمسعود بارزاني علاقات متداخلة وهو ما قد يثير المشاكل في الوقت الراهن، وذلك نظرا للنزاع الحاد بين التحالف الذي تقوده السعودية ويتهم قطر بدعمها للإرهاب. وفي حين أظهر أردوغان دعمه التام للجانب القطري في هذه المسألة، نجح بارزاني في تحقيق نقلة نوعية مكنته من تثبيت نفسه وحكومته، ضمن "العسكر السني للشرق الأوسط"، من خلال تجاربه مع السعودية.

بتاريخ 25 كانون الأول / ديسمبر من سنة 2015، استقبل الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود برقة ولـي العهد محمد بن نايف، بارزاني في الرياض، كما ضم الموكب وولي ولـي العهد، محمد بن سلمان، فضلا عن أبرز أعضاء العائلة المالكة. ومن هذا النطلق، أعتبر هذا الاستقبال الحافل رمزاً فيما يتعلق بالضمادات السنوية غير المكتوبة لبارزاني ضد إيران. وفي ذلك الوقت، بدأ العسكر السني في الشرق الأوسط متـحداً، أما في الوقت الراهن فقد تغيرت الأوضاع بسبب التوتر القطري السعودي.

على الصعيد الجيوسياسي، لا يستطيع بارزاني التخلـي عن الدعم التركي. فالنظر إلى عدم تأييد تركيا لقيام دولة كردية مستقلة، يـبدو من غير المقبول سياسياً أن يقف رئيس حكومة كردستان إلى جانب تركيا ضد السعودية ومصر والإمارات. علـوة على ذلك، يعد التقرب من إيران وبغداد أمراً غير منطقياً في الوقت الذي يـسعى فيه بـارـزـانـي إلى الانفصال عن العراق.

وفي ظل الظروف الراهنة، سيضيف الاستفتاء بشأن قيام دولة كردية مستقلة، الذي سيؤدي في نهاية المطاف إلى الانفصال عن العراق بـحكم الواقع إن لم يكن بـحكم القانون، عنصراً متـقلـباً جديداً إلى الساحة السياسية في الشرق الأوسط والخليج الذي تعمـه الفوضـى. عمـومـاً، سيكون من المستحيل تـقـرـيبـاً على الدولة الكردية المستقلة ضمان استمراريتها، حقـ في حال نجاح استفتاء الخامس والعشرين من أيلول / سبتمبر المقبل، ما لم يـشهدـ الموقفـ التركـيـ تـغيرـاًـ.

المصدر: [اللونتور](#)

رابط المقال: <https://www.noonpost.com/18449>